بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي من أسند أمره إليه كفاه ، ومن رفع إليه يديه أجازه وسمع دعاه ، ومن توكل عليه أعانه وهداه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة العبد المؤمن ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله خير من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا نفوسهم في نقل جوامع أقواله وأخباره ، والذين أشبهوا في الهداية بهم نجوم السماء .

وبعد :

فلقد شدني وأنا أقرأ عن الصحابي الجليل معاذ بن جبل ماقاله له رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم : « والله إني لأحبك يامعاذ ! » . (١) .

وتلك قولة عظيمة استحوذت على نفسي وتفكيري وعزمت أمري على تتبع سيرة هذا الصحابي الجليل الذي آثره رسولنا العظيم بهذا الحب النبوي الكريم ، فكانت هذه المحاولة التي أقدمها اليوم ، راجيا أن تكون منطلقا لمحاولات أخرى مع صحابة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

فمكتبتنا الإسلامية تفتقر إلى هذا النوع من المؤلفات التي تهدف إلى التعريف المسهب بسير الصحابة ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ .

---

(١) سنن أبي دواد : (كتاب الصلاة) باب فى الاستغفار جـ٢ صـ٨٦ رقم ١٥٢٢ طبع دار الفكر ببيروت ، تحقيق وضبط : محمد محيى الدين عبد الحميد .

وإنى أعترف بأن هذا العمل لم يكن سهلا ميسورا ، فقد اقتضاني البحث الدءوب في ثنايا المخطوطات والمراجع لجمع البيانات والمعلومات من مظانها على كثرتها وتشتتها ، واضطرني إلى السهر لترتيب المادة وإخراجها على أكمل وجه ، لكي يصبح مرجعاً للقراء والعلماء الباحثين .

●●●

ومعاذ [1] بن جبل ــ رضي الله عنه ــ هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أويس بن عائذ بن كعب الخزرجي الأنصاري السلمي . **وكنيته** : أبو عبد الرحمن الإمام أعلم الأمة بالحلال والحرام . **وكان** يشبّه بإبراهيم الخليل عِليه الصلاة والسلام . وكان أمة قانتا لله حنيفا .

أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة .

وشهد بيعة **العقبة** مع السبعين من الأنصار ــ رضي الله عنه وعنهم ــ وشهد **بدرا** والمشاهد كلها ، وأردفه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خلفه وقال : « يامعاذ ! والله إني أحبك » . وبعثه إلى اليمن قاضيا بعد **غزوة تبوك** وشيعه ماشيا في مخرجه ، وكان معاذ راكباً .

وروى أنه لما بعثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ شيّعه يوصيه ، ومعاذ راكب ، ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ماش تحت راحلته ، فقال له : « يامعاذ : عسى أن لاتلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك تمر بمسجدي هذا وقبري » **فبكى** معاذ ــ رضي الله تعالى عنه ــ لفراق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة ، فقال : « يامعاذ ! إن أولى الناس بي المتّقون أيًّا كانوا وحيث كانوا » .[2].

(١) ومعاذ هو اسم المفعول من استعذت بالله ، وعذت به معاذا وعياذا : اعتصمت . وتعوذت به وعوذت الصغير بالله .

والمعوذتان : « قل أعوذ برب الفلق » ، و « قل أعوذ برب الناس » لأنهما عوذتا صاحبهما ، أى : عصمتاه من كل سوء . وباسم المفعول سُمى ، ومنه : معاذ بن جبل .

(٢) انظر مسند الإمام احمد جـ ٥ صـ ٢٣٥ .

ثم قال : « يامعاذ ! يسر ولا تعسر ، وبشّر ولا تنفّر ، إنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك : ما مفتاح باب الجنة ؟ فقل لهم : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، يامعاذ : اتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »(١).

وروى الحافظ أبونعيم بإسناده أن أنس بن مالك ــ رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل »(٢).

وروى عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قال : إن معاذ بن جبل كان أمة قانتا لله حنيفا ، فقيل له : ذلك إبراهيم(٣) عليه الصلاة والسلام ! فقال : مانسيت ! هل تدري ما الأمة والقانت ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : « الأمة : الذي يعلم الناس الخير ، والقانت : المطيع لله ورسوله »(٤).

وأوجز الإمام المناوي في (كواكبه)(٥) حياة معاذ بن جبل في أروع صورة فقال : معاذ بن جبل المحكم للعمل ، التارك للجدل ، مقدام العلماء ، إمام الحكماء ، مطعام الكرماء ، القارىء القانت ، المحب الثابت ، الولي المأمون ، الوفي المصون ، المؤتمن على العباد والمال ، المصون من الموانع في الأحوال ، وقد قيل : التصوف : مزاولة الأنفس في رياض القدس . قال المصطفى ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « معاذ أعلم أمتي بالحلال والحرام » . وقال « معاذ إمام العلماء برتوة»(٦) . وقال له : « يامعاذ : إني أحبك » . وبعثه عاملا على اليمن .

---

(١) رواه أبونعيم وابن عساكر (كنز العمال ٣٠٢٩٢) .

(٢) انظر طبقات ابن سعد « ترجمة معاذ بن جبل » جـ٢ ق٢ صـ١٠٧ ، جـ٧ ق٢ ص١١٤ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد « ترجمة معاذ بن جبل » جـ٢ ق٢ صـ ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٤) جاء في الآية : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ﴾ سورة النحل الآية ١٢٠ .

(٥) الإمام عبد الرؤوف المناوي : (الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) مخطوطة شستر بيتي رقم ٣٦٢٦ ، الورقة ٣٧ .

(٦) الرتوة : هي الرمية . والمراد قرب المسافة . أي : يتقدم عليهم بمقدار رمية حجر ، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية .

ومن كلامه : أوصيك بأمرين إن حفظتهما حفظت : أنه لاغنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر ، فآثر نصيبك الأخروي على الدنيوي . وقال : ماعمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله . وقال : ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت : الضحك من غير عجب ، والنوم من غير سهر ، والأكل بغير جوع . وقيل له : ألا تجمع لله آلة تبني بها مسجداً ؟ قال : أخاف أن أكلف حمله يوم القيامة على ظهري . ولما أحضر نزع نزعاً شديداً لم ينزعه أحد ، فكان كلما أفاق فتح طرفه ثم قال : يارب احتفني حتفك ، فوعزتك إنك تعلم أني أحبك . رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه .

وبعد هذه الكلمات الموجزة التي قيلت في سيرة هذا الصحابي الجليل ، دعنا ندخل معا ــ أيها القارىء العزيز ــ في تفاصيلها ، علّنا نهتدي بهديها ونقتبس من عظاتها وعبرها .

والله حسبي فيما أعول عليه ، وعليه أتوكل في أن يمنحني هداية الطريق ، ويرزقني حلاوة التحقيق ، ويعصمني من الزلل في القول والعمل ، ويلهمني الصواب ، وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه مآب .

دكتـــور

عبـد الحميـد صـالح حمـدان